الشفاء
فى القدس

قصة إسلام طبيب أوروبى في فلسطين

تأليف

هشام حسين هواش

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت:٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة
دار الإيمان - إسكندرية

رقم الإيداع ٧٨٢٣ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى

977 - 331 - 092 - 2

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الهادى إلى طريق الدين القويم ، رب العرش العظيم ، له الملك والملكوت ، والكل له يسجدون .

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله النبى الأمي الذى كان نبراساً لنا إلى طريق النور ...

أما بعد :

عزيزى القارئ :

إن مجريات الأحداث اليومية من حولنا والتى تعصف بالأمة الإسلامية يميناً ويساراً ، فأصبح المسلمون مثل القشة التى تتقاذفها الأمواج هنا وهناك ، وليس الأمر من قلتهم ولكن من تفرقهم وانغماسهم فى ملذات الحياة وشهواتها ولهوها ، وابتعدوا عن الدين الذى أعزنا بعد أن كنا أذلة فعندما ابتغينا العزة فى غير الإسلام أذلنا الله ، وهذا هو واقع المسلمين اليوم .

كل هذه الأحداث جعلتنا لا نعير انتباهنا إلى وقوع بعض المعجزات الإلهية والتى لا تنقطع أبداً من قبل الله وسبحانه وتعالى إلى بنى البشر ، بل إننا اعتبرناها أموراً عادية مثل غيرها من الأخبار التى نستمع إليها ونشاهدها فى وسائل الإعلام المختلفة ليلاً ونهاراً .

إن هذه المعجزات الإلهية لا يجب أن نعتبرها بأى حال من الأحوال أمراً عادياً ، بل يجب أن نقف عندها طويلاً بالدراسة والتحليل لأنها تحمل فى طياتها معانى سامية وبراهين واضحة لا يمكن إغفالها .

وهذه القصة التى نحن بصددها وهى قصة صغيرة فى روايتها ولكنها كبيرة جداً فى معانيها ، وهى قصة حقيقية من واقع الحياة التى نعيشها وما أكثر

حدوث تلك القصص فى ذلك الزمان .

وقد راعيت فى سرد الأحداث الرئيسية لتلك القصة أن تكون مطابقة تماماً لوقائع القصة الأصلية .

وقد اقتضيت ضرورة الكتابة إضافة بعض الأحداث الجانبية أو بعض العبارات المكملة للحوار ولكنها لا تضر بأى حال من الأحوال بأحداث القصة الحقيقية ، وذلك لتحقيق الأمانة العلمية فى الكتابة من ناحية وبيان بعضاً من المعجزات الكثيرة للقرآن الكريم من ناحية أخرى .

والله من وراء القصد .

هشام حسين هواش
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الشفاء في القدس
زيارة إلى القاهرة

اعتدت أثناء زيارتى لمدينة القاهرة أن أصلى فى الجامع الأزهر الشريف ، ذلك المسجد العظيم الذى أقامه الفاطميون ليكون منارة لنشر المذهب الشيعى فتحول بقدرة الله سبحانه وتعالى إلى مركزاً لنشر الإسلام الصحيح المعتمد على القرآن الكريم والسُّنة الشريفة ، وكان القاعدة الأولى للجهاد ضد أعداء الإسلام بالكلمة تارة ، وبالسيف تارة أخرى .

فعلى مدى السنوات الطويلة التى عاشها منذ إنشائه خرجت منه دعوات العلماء إلى الجهاد فى سبيل الله ضد أعداء الإسلام ، ومنه أيضاً خرجت الدعوات التى تحث الشعب على الوقوف أمام ظلم الحكام والولاة والدعوة إلى التمسك بالدين والبعد عن العنف امتثالاً إلى قول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ولا يزال الأزهر حتى الأن هو منارة الدين الإسلام ، فإليه يأتى آلاف وآلاف من الشباب المسلم من مختلف أرجاء الأرض لينهلوا من علومه الكثيرة وبحورة الوفيرة وتعاليمة المنيرة ويتربوا فى كنفه ويتشربوا مبادئه حتى يعودوا إلى بلادهم نجوماً زاهرة تضئ الطريق لمن خلفها ، ويعملوا على تصحيح المفاهيم الخاطئة التى تسربت إلى المجتمع الإسلامى نتيجة الاتصال الكبير الذى حدث بين العالم الإسلامى والحضارة الغربية .

وعلى الرغم من وجود هذا البعد الكبير عند الإسلام ومفاهيمه العظيمة وسط مغريات ومباهج الحضارة الأوربية فلا يزال هناك بعض الدلائل والأمثلة

التى تدل على عظمة هذا الدين ، ومن ذلك هذه القصة :

بينما كنت أؤدى صلاة العشاء فى الجامع الأزهر الشريف وبعد انتهائى منها تلفت حولى ليقع نظرى على شاب يصلى وتبدو عليه الملامح الأوربية وليس هذا غريباً ، فالقاهرة تعج بالألاف من السياح الأجانب ولكن الشيء الذى جذب انتباهى هو بكاء هذا الشاب أثناء صلاته وكأنه قد فقد كل شيء فى الحياة .

وبالرغم من أنى كنت فى عجلة من أمرى فإننى لا أتِ إلى القاهرة إلا إذا كان هناك أمراً هاماً ويجب أن أنهيه بنفسى فى أقل وقت ممكن إلا أننى لم أستطع الانصراف دون أن أتحدث إلى هذا الشاب وأتعرف على قصته ، فانتظرت حتى انتهى من صلاته ، ثم اقتربت منه بهدوء وألقيت عليه السلام ، فرد عليّ السلام ولاحظت أنه يتكلم العربية بصورة جيدة نوعاً ما ، ثم قلت له : يا أخى اعذرنى لتطفلى عليك ، ولكن أود أن أتعرف عليك ؟ ، فقال لي : أنا اسمى «ادوارد » ، وأنتمى إلى إحدى الدول الأوربية وقد دخلت فى الإسلام حديثاً ، قلت له : ومتى أسلمت ؟ قال : أسلمت منذ عام ونصف تقريباً ، قلت له : يا أخى لقد شاهدتك وأنت تصلى ، وقد لفت انتباهى بكاؤك أثناء الصلاة ، فإن لم يكن هناك تطفل منى عليك فهل أستطيع أن أعرف ما هو سر هذا البكاء ؟ وما هى حياتك قبل الإسلام ؟ وماهى الصعاب التى واجهتك فى طريقك إلى الإسلام ؟ وكيف أسلمت ؟ .

قال : هل لديك الوقت لتسمع هذه القصة الطويلة ؟ .

قلت : نعم إذا سمحت ، قال : حسناً . ولكن دعنا نؤجل هذا إلى يوم الغد إن شاء الله بعد صلاة العشاء لارتباطى بموعد هام هذه الليلة .

قلت له : لا مانع من ذلك وسوف انتظرك غداً في نفس الميعاد ، وعدت إلى الفندق وأنا أفكر في قصة هذا الشاب ، وفي اليوم التالي أنهيت ما ورائي من إجراءات وأعمال طوال النهار وعدت إلى الفندق حتى إذا جاء موعد صلاة العشاء خرجت لأؤدى الصلاة وبعدما انتهينا منها بحثت عن هذا الشاب فوجدته يصلي ، فلما انتهى توجهنا إلى أحد أركان المسجد وجلسنا ثم قلت له : هل أنت على استعداد لتقص عليّ قصتك ؟ ، قال لي : أنت متعجل جداً لتسمع هذه القصة ، قلت له : نعم ، فقال لي :

يا أخي ، لقد كنت شاباً مثل أي شاب يعيش في أوربا ، الحياة مفتوحة ، أمامي لعب ولهو وخمر ونساء دون أدنى رقيب أو حسيب ، كل ما أطلبه أجده ، وكل ما أتمناه أحصل عليه ، والدى يعمل مديراً لإحدى شركات تصنيع السيارات ، ووالدتي تعمل في أحد البنوك الكبرى في العاصمة ، ولي أخت واحدة تبلغ من العمر حوالي خمسة عشر عاماً ، أما أنا فقد تخرجت من كلية الطب منذ أشهر قليلة وكنت أعمل طبيباً في أحد المستشفيات الخاصة .

وبالرغم من أننا أسرة صغيرة إلا أنها مفككة جداً ، ولا توجد أي روابط بين أي من أفرادها ، فالبيت بالنسبة لنا ما هو إلا مكان للنوم فقط ، كأنه أوتيل أو فندق لا نجتمع فيه إلا نادراً ، وكل منا له حياته الخاصة بعيداً عن الأسرة ، فالأب والأم منفصلين دون طلاق ، والأب له صديقته ، والأم لها صديق ، ويعيشان حياتهما كما يحلو لهما ، بل الأمر وصل إلى الأخت أيضاً فأصبحت على علاقة بأحد الشباب فيما يسمى بـ « **Boy Friend** » فتخرج معه وقتما تشاء وتطورت هذه العلاقة وأصبحت حاملاً منه وأجريت لها عملية إجهاض مع أنها لم تبلغ من العمر سوى خمسة عشر عاماً فقط ، وبالنسبة لي ، فقد كنت أستأجر شقة خاصة بي ، ونادراً ما كنت أذهب إلى المنزل ،

كنت أعمل بالمستشفى نهاراً أما في الليل فقد كنت أقضي السهرة مع زملائي في المستشفى بأحد الملاهي الليلية أو في شقة أحدهم أو في شقتي ، حيث كنا نأتي ببعض الفتيات نمارس معهن الجنس سواء من زميلاتنا في المستشفى أو فتيات الدعارة اللاتي يطلبن بالتليفون ، وكنا نقضي السهرة في لعب ولهو وجنس وخمور وما إلى ذلك .

ومن ضمن الفتيات اللاتي كنا نماس معهن الجنس كانت هناك فتيات صغيرات لا تتعدى الثلاث عشرة سنة ، حيث كنا نستمتع جداً بممارسة الجنس مع تلك الفتيات ، وذات مرة حدث لي شيء غريب جداً كان بمثابة نقطة تحول في حياتي إلى الآن .

كنت أجلس في شقتي ليلاً عندما دق جرس الباب وعندما فتحته كان أحد أصدقائي ، وكان شيئاً عادياً أن يزورني وجلسنا على الأريكة ، وجلس بجانبي وأخرج من جيبه شريط فيديو ، قال لي : أنه ممتع جداً ووضعته في الفيديو وبدأ العرض ، وإذا بفيلم جنسي للشواذ جنسياً يعرض بعض الرجال وهم يمارسون الجنس سوياً في منظر أقرب إلى منظر الحيوانات ، عند هذا الحد كان الأمر طبيعياً ، ولكن فجأة وضع صديقي هذا يديه على ركبتي وبدأ يحاول إثارتي جنسياً لممارسة الجنس معه وهو يقول : إن هناك متعة كبيرة يشعر بها الإنسان عندما يمارس الجنس مع شخص مثله ، ولكني لم أدر ما حدث لي ، وقمت واقفاً وقلت له : اعذرني فإني لا أميل إلى هذا النوع من الجنس .

ولا أستطيع أن أمارسه معك ، فما كان من هذا الذي كان صديقاً إلا أن غادر الشقة . بعد ذلك تركت الشقة وتوجهت إلى منزلنا حيث دخلت غرفتي وأغلقت على بابها وجلست بها دون أن أحرك ساكناً وكأنني في غيبوبة لا أعلم متى أفيق منها .

وبعد فترة أفقت من هذا الذهول الذى أصابنى وسألت نفسى هل ما حدث هذا صواب أم خطأ ؟ ، هل هذا الانحلال وانعدم القيم والجنس والخمور والشذوذ صواب أم خطأ ؟ هل هذا التفكك الذى تعيشه أسرتنا وغيرها من الأسر صواب أم خطأ ؟ هل هذا الصراع الرهيب بين البشر على امتلاك الأموال بشتى طرق النصب والاحتيال صواب أم خطأ ؟ هل هناك يوم يأتى ليحاسب فيه الظالم على ظلمه ويجازى فيه المحسن على إحسانه أم لا ؟ ، هل هذا العالم خلق صدفه كما يقول البعض أم أن هناك نظام يحكم كل هذا بدقة ؟ إذا كان هناك إله يحكم هذا الكون فلماذا لا يتدخل ليمنع هذه الشرور ؟ وهل هذا الظلم والاضطهاد الذى تعيشه بعض شعوب العالم بسبب وقوعها تحت أطماع الدول الكبرى صواب أم خطأ ؟ ، هل هذا الذين المسيحى الذى ندين به هو الدين الصحيح أم لا ؟ ، وإذا كان هو الدين الصحيح فلماذا يظهر فى هذا المجتمع الغرب المسيحى هذا التفكك والانهيار وانعدام القيم والظلم والرغبة فى امتلاك القوة للسيطرة على الدول الضعيفة التى لا ذنب لها سوى أنها من دول العالم الثالث كما يقال ؟! ...

إن المسيح يدعو إلى السلام والحفاظ على كرامة الإنسان ، لكن المجتمع المسيحى لا يعترف بهذا وإنما يستعمل كل ما أوتى من أصناف القوة ليحارب هذا السلام فى العالم ، إن المسيح يدعوا إلى العفة والطهارة ولكن هذا المجتمع لا يعرف أى نوع من أنواع العفة أو الطهارة ، فهل هذا المجتمع الذى يمارس فيه الرجل الجنس مع الرجل ويمارس فيه الأب الجنس مع ابنته والابن مع امه والأخ مع أخته مجتمعاً فاسداً أم صالحاً ؟ ..

هل هذا المجتمع الذى يعرض الجنس والشذوذ الجنسى على قنواته المرئيه ليراها الكبار والصغار مجتمعاً صالحاً أم فاسداً ؟ هل هذا المجتمع الذى تنتشر فيه

فتيات الليل والنوادى الليلية والخمـور بأنواعها والنساء العاريـات مجتمعاً صالحاً ؟ هل هذا المجتمع الذى ينتج أنواعاً مختلفة من الأسلحة لم تعرف البشرية مثيلاً لها ليس للدفاع عن النفس ولكن لاستعباد غيرهم من البشر والقضاء عليهم ، هل هذا المجتمع مجتمع خيراً أم شر ؟ ، هل هذا المجتمع الذى ظهرت فيه هذه الأمراض الخطيرة التى لم يتوصل إلى علاج لبعضها مثل الإيدز ، جنون البقر ، السرطان ، الجمرة الخبيثة وغيرها من الأمراض مجتمعاً طاهراً أم فاسداً ؟ .

كل هذه الأسئلة درات فى عقلى وأنا جالس فى غرفتى ولم أهتدى إلى إجابة لها ، وأدركت أننى قد ابتعدت كثيراً عن الرب ، الأمر الذى سبب لى هذا الفراغ الروحى ، لقد كنت فى هذه الفترة بعيداً كل البعد عن الدين ولم أدخل الكنيسة أبداً فى حياتى إلا عندما كنت طفلاً صغيراً مع والدى أيام الآحاد ، ولم أكن أحفظ أى شىء من الانجيل أو أهتم حتى بالنظر فيه ، وإنما كان كل ما يهمنى هو أن أقضى حياتى كما يحلو لى كأمثالى من الشباب فى مجتمعنا ، حتى حدث هذا الأمر مع من كان صديقى ليجعلنى أهتز من داخلى ورحت أتساءل : إذا انساق الإنسان وراء شهواته فما هو الفرق بينه وبين الحيوان إذن ؟!! ، وهل المسيحية تأمر بهذه الأفعال وتترك الإنسان على هواه يفعل ما يشاء دون حساب أو عقاب أو مراعاة لقيم ومبادئ أو انتظاراً ليوم أخير يحاسب فيه الناس على قدر أعمالهم ، ولكنى كنت متأكداً تمام التأكد أن يسوع الرب لا يعترف بهذه الأفعال التى يقوم بها البشر الذين يؤمنون به ، ولكن لماذا يوجد هذا العدد الكبير من الأديان التى يعبدها الإنسان على سطح الأرض .

إن منطق العقل يقول : إن هناك إله واحد يحكم هذا الكون ، وكل البشر

يعترفون بذلك ، وعلى هذا فإن هذا الإله الواحد لا يمكن أن يجعل فى الأرض أكثر من دين يؤمن به البشر لأنه لو وجد لكان هناك بالتأكيد اختلافات بين كل دين وآخر وعلى فرض إن كل هذه الأديان صحيحة فأى دين يعتنقه البشر من بينها وبالتالى فعلى أى أساس سوف يحاسب الرب البشر على هذا الدين أم ذاك ؟ .

إن الدين هنا ليس موجوداً فى سوبر ماركت كبير ضمن مجموعة من الأديان الكثيرة المختلفة فيما بينها فى الشكل والمضمون والمعتقدات وعلى الإنسان أن يدخل هذا السوبر ماركت ويختار من بين المعروضات الدين الذى يناسبه ويتفق مع رغباته وشهواته ، إذن فإنه لا يوجد إلا دين واحد فقط صحيح فى هذا الكون وعلى الجميع أن يؤمن به ويدع ما دون ذلك ، ولكن المشكلة هى كيف السبيل إلى أن يؤمن البشر أجمعهم بدين واحد فقط ، فهذا شىء أقرب إلى المستحيل ، بل هو المستحيل ذاته ، فالبشر لم يجتمعوا على دين واحد أبداً منذ العصور الأولى للإنسان على الأرض ، على الرغم من أن الرب قد أرسل الكثير والكثير من الرسل لهداية الإنسان إلا أنه ظل على كفره حتى نزل الرب من عرشه وتجسد فى جسد يسوع ليفدى الإنسان من خطيئته ويهديه طريق الرشاد إلا أنه ظل على عناده واختلق أديان وأديان كاذبة بعيداً عن المسيحية دين الرب على الأرض .

دراسة جديدة

إن المجتمع المسيحى قد ابتعد عن المعانى السامية للمسيحية الحقيقية وانساق وراء مبادئ واهية واطروحات كاذبة لا تؤدى إلا إلى الظلام والجهل والفساد رغم كل هذا التقدم العلمى الذى يشهده ، وأنا بالطبع من ضمن هذا المجتمع ، ولذا أيقنت أننى لا بد أن أعود إلى دراسة دينى بعدما ابتعدت عن الرب كل هذه السنوات الطويلة ، وقررت أن أبتعد عن الحياة الدنيوية وملذاتها وشهواتها وأهب نفسى وعلمى للرب وأكون أحد أنصار دينه على هذه الأرض التى عمت بالفساد ، وعلى هذا فقد أسرعت بالتوجه إلى أحد الكنائس الكبيرة الملحق بها معاهد خاصة تقوم بتدريس الديانة المسيحية من حيث نشأتها وتاريخها وتطورها عبر العصور المختلفة ، وقد وجدتها فرصة جيدة يتسنى لى من خلالها الدراسة المتعمقة للمسيحية من ناحية ، والتقرب إلى الرب له المجد واهب السلام والأمن والرخاء للبشرية .

فى هذا اليوم الذى توجهت فيه إلى الكنيسة استقبلنى بها أحد الأساقفة الذين يعملون بها ، ثم أدخلنى إلى مكتبة وأجلسى وأحضر لى فنجاناً من القهوة الساخنة ، ثم قال لي : ماذا ورائك أيها الشاب ؟ ، فقمت برواية قصتى له منذ البداية وحتى قدمت عليه فما كان من هذا الأسقف إلا أن طمأننى وقال لي : لقد فعلت الخير والصواب إن أتيت إلى هنا بسرعة ولم تنساق وراء هذه الشكوك الكاذبة .

ثم استأذن فى الانصراف وتركنى بعض الوقت وحيداً فى تلك الحجرة ، وبعد فترة سمعت بعض الأصوات خارج الحجرة وإذا بهذا الرجل قد أقبل عليّ

وطلب منى الخروج معه إلى الردهة فخرجت معه وإذا بعدد من رجال الدين فى الكنيسة وقد التفوا حول بعضهم ، ثم توجه إليّ أحدهم وألقى عليّ التحية وسار معى حتى دخلنا حجرة كبيرة تشبه قاعة المحاضرات وأجلسنى فى أحد المقاعد الجانبية ودخل الباقون وجلسوا فى المقاعد التى فى المنتصف وجلس ثلاثة على منصة الالقاء فى مواجهتنا .

وإن هى إلا لحظات حتى وجه إلى أحد الرجال على المنصة هذا السؤال :

ما هى قصتك أيها الشاب ؟ .

وقمت للمرة الثانية بسرد كل الأحداث التى مرت بى وطلبت منه أن أجد تفسيراً لهذه الأسئلة الكثيرة التى أعيت تفكيرى .

قال لي : هل أنت مؤمن تمام الإيمان بالمسيحية أم لا ؟ .

قلت له : نعم أنا مؤمن بالمسيحية ولكنى أريد أن أعرف إذا كانت المسيحية هى الدين الصحيح فلماذا كل هذه الشرور من حولنا ؟ .

قال لي : وهل أنت درست المسيحية وعرفت مبادئها لكل تسأل هذا السؤال هل المسيحية صحيحة أم خاطئة ؟ .

قلت له : للأسف أنه لم يتسنى لى دراسة الدين المسيحى دراسة جيدة ضمن الأعباء الثقيلة للتعلم الأكاديمى بمراحل التعليم المختلفة حتى كلية الطب بالإضافة إلى حياة المدينة الصاخبة وملذات الحياة الدنيوية .

قال لى : بما أنك لم تعرف المسيحية فلماذا تجرؤ على أن تجعل المسيحية فى وضع اختيار بين الصواب والخطأ ، إن هذه جريمة كبيرة كان يعاقب عليها بالموت فى العصور السابقة .

قلت له : يا سيدى إن كنت قد أخطأت فإن لى عذرى فى هذا ، إن

الأحداث التى ألمت بى كانت قاسية ولم أتمكن من التغلب عليها .

قال : إذن قبل أن أجيب لك على أى سؤال فإنك يجب أن تقوم أولاً بدراسة الدين المسيحى دراسة جيدة وبعد ذلك نرى إذا كانت لديك شكوك أوزالت عنك تلك الشكوك ، لهذا فإنى أريدك أن تلتحق بالمعهد الأعلى للدراسات المسيحية الملحق بالكنيسة والذى من خلاله سوف تتعرض على كل ما يتعلق بالمسيحية منذ نشأتها وتاريخه وتطورها وبعد ذلك سوف نرى إن كنت قد عادت إليك ثقتك بالمسيحية أم لا ، والدراسة فى هذا المعهد شبه مجانية تقريباً ، وهى لمدة عامين ، وقد علمت أنك قد تخرجت من كلية الطب وتعمل طبيباً ، لذا فإنى أرجو أن توافق على العمل فى الكنيسة كطبيب حيث أننا قد افتتحنا مستشفاً خاصاً لعلاج الفقراء وغير القادرين من الناس وذلك فى مقابل أجر زهيد جداً وسوف يكون عملك هنا تطوعياً بعد الانتهاء من عملك الحكومى ، فهل توافق على ذلك ؟ .

قلت له : نعم أوافق على ذلك وسأبدأ من الغد .

ومرت الأيام وأنا على هذا المنوال ، من الصباح حتى بعد الظهر أعمل فى المستشفى ، ثم أخرج منها لأذهب إلى المعهد الملحق بالكنيسة جتى قرب غروب الشمس وبعدها أذهب إلى المستشفى الملحقة بالكنيسة لأقوم على رعاية مرضاها من الفقراء وغير القادرين دون أى كلل أو ملل ، فكل ما كان يهمنى هو أن أعرف الكثير والكثير عن المسيحية حتى أزيل الشكوك التى انتابتنى ، ولقد كان من حُسن الحظ أنه يتولى التدريس فى هذا المعهد نخبة ممتازة من رجال الدين الحاصلين على أعلى الشهادات العلمية فى الدين المسيحى والمكرمين على مستوى الدولة نظراً لأعمالهم الجليلة .

ومن خلال هؤلاء العلماء وعلى مدى هاتين السنتين تعرفت على كل شيء يتعلق بالمسيحية منذ نشأتها وحتى وقتنا الحاضر وأنا فى هذا الوقت كنت نهماً جداً للمعرفة ، فلم أكتفى بشرح هؤلاء العلماء بل كنت أذهب إلى مكتبة الكنيسة وأقرأ ما بها من كتب ومجلدات حيث كنت أقتبس من ساعات العمل دقائق قليلة أطالع فيها هذه الكتب .

وبعد عامين التقيت بذلك الرجل الذى وجه إلى الكلام فى الكنيسة ليقول لى : هل ما زلت لديك الشكوك التى جئت هنا بها منذ عامين ؟ ، قلت له : لا ، لقد هدانى الرب إلى الجواب الشافى لهذه الشكوك .

وما هو هذا الجواب الذى اهتديت إليه ؟ .

قلت له : إن أى مجتمع فى العالم لابد أن يوجد فيه الخير والشر معاً ، وهذا هو حال الدنيا منذ أن تم خلقها ، فهناك الطيب والشرير ، والقوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والسعيد والحزين ، والظالم والمظلوم ، لذلك من الطبيعى أن توجد هناك فئة لا تلتزم بالدين وتعاليمه ، وهذا تحت تأثير اغواء الشيطان لهم ، فهى مهمته الأزلية نحو البشر ، ولكن فى المقابل هناك فئة أخرى من البشر يلتزمون بالدين وتعاليمه ويحافظون عليها على مر الأجيال ، وهذه هى حكمه الرب فى خلق تلك الفئات وما كل ذلك إلا ابتلاءات واختبارات من الرب ليختبر عباده هل يصبرون أم ينحرفون فى طريق الشيطان ، وفى النهاية يكون الحساب حيث يجازى المحسن ويعاقب المذنب ، وهذه هى عدالة الرب له المجد .

قال لي : إذن الأن قد اقتنعت وعادت إليك ثقتك بنفسك .

قلت له : نعم .

قال لي : وماذا سوف تفعل الآن ؟ .

قلت له : أننى سوف أستمر على النظام الذى أنا عليه حيث سوف أواصل العمل فى وظيفتى ومستشفى الكنيسة وأستمر أيضاً فى الدراسة حيث عزمت على تحضير رسالة ماجستير وموضوعها يتناول « طفولة يسوع الرب له المجد والدلائل على ألوهيته » .

قال لي : هذا موضوع جيد وأرجوا من الرب أن يوفقك ... .

وانتهى اللقاء بيننا وتركت الرجل لأواصل المهمة التى نذرت نفسى من أجلها ، فكنت أعمل بمستشفى الحكومة ومستشفى الكنيسة وأدرس فى المعهد حتى أنهيت رسالة الماجستير وناقشتها ونجحت فيها بدرجة امتياز ثم أتبعتها برسالة دكتوراة حول « طبيعة تجسد اللاهوت بالناسوت » وقد وفقنى الرب له المجد فيها وناقشتها أيضاًو نجحت فيها بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف ، وكانت أعظم مفاجأة لى أننى تم اختيارى للعمل ضمن طاقم التدريس بالمعهد الأعلى للدراسات اللاهوتية بالعاصمة ، وأيضاً اخترت للتدريس بالمعهد الملحق بالكنيسة ، ولم يكن هناك بد من ترك العمل الحكومى ، حيث افتتحت عيادة خاصة بى ، فكنت أقسم العمل بين تلك الجهات الثلاث ، ولم أشعر بأى تعب أو نصب .

مفاجأة خطيرة !!

وفى يوم من الأيام التقيت بهذا الأسقف الذى استقبلنى عندما جئت إلى هنا أول مرة وكان عادياً أن أقابله فأنا أعمل معه فى نفس المكان ولكن هذه المرة كانت تختلف كل الاختلاف .

لقد جلسنا سوياً فى أحد الحجرات وقال لي : أريد أن أخبرك بشيء وهو يعتبر سرياً للغاية ولا يجوز أن أفصح عنه ولكنك أصبحت الآن واحداً منا فلا ضير من إخبارك به ، قلت له : ما هو هذا الأمر ؟ .

قال لي : أن هناك شباباً مثلك قد أتوا إلينا تحوطهم أيضاً شكوك مثلك ، فقمنا بشرح مبادئ وتعاليم الدين لهم وأجبنا لهم على أسئلتهم ولكنهم لم يقتنعوا بها ، وأصروا على أرائهم ، فلم يكن أمامنا بد من أن نقوم بقتلهم وذلك لأننا نعتبر تلك الفئة من الشباب بمثابة نوعاً من الهراطقة والشياطين التى قد تؤدى أفكارهم إلى أحداث نوع من الفتنة داخل المجتمع المسيحى حيث أنهم قد سيطر عليهم الشيطان بأفكاره فانقلبوا على المسيحية وجاءوا بآراء جديدة وغريبة لم نسمع بها ولا يمكن تصديقها بأى حال ، ورفضوا ما دون تلك الأفكار وإذا تركناهم أحياء فإن هذه الأفكار قد تنتشر بين طبقات الناس الفقراء والجهلاء وضعاف العقيدة من أمثالك أنت ، وبالتالى يتحول الأمر إلى مشكلة كبيرة لا نستطيع القضاء عليها ، لذا فإن قتل مثل هؤلاء الناس يعتبر حلاً مثالياً للقضاء على الفتنة فى مهدها وحماية دين الرب له المجد على الأرض .

قلت له : أفهم من هذا الكلام أنه إذا كنت لم أقتنع بالأفكار التى قيلت لي أثناء فترة الدراسة فى المعهد لديكم واستمر الشك لدي كانت نهايتى هى

الموت ؟!! .

قال لي : نعم ، ولكن يجب أن تفهم موقفنا فى ذلك وتضع نفسك مكان رجال الكنيسة ، فما هى الوسيلة لكى تحمى دينك من هؤلاء الهراطقة .

قلت له : يتضح لى من كلامك أن هناك أناساً أتوا إلى هنا تحوطهم بعض الشكوك وعندما فشلتم فى الرد على أسئلتهم كانت أسهل طريقة للتخلص من ذلك هو قتلهم ، على الرغم من أنهم لم يرتكبوا أى جرم سوى أنهم أرادوا الراحة النفسية من شكوك أربكت حياتهم وتوجهوا إليكم بصفتكم أعلم الناس بالدين وتعالميه ، وأكثر الأماكن أمناً على الأرض لكى تريحوهم من حيرتهم فكان جزاؤهم هو الراحة الأبدية بالقتل دون أى ذنب .

قال لي : لقد قلت لك أننا لم نفشل فى الإجابة على أسئلتهم ولكنهم لم يقتنعوا بالإجابات ولذلك فإنهم يعتبرون نوايا لفتنة قد تحدث ، ولذا وجب التخلص منهم .

صمت فترة وأنا أحدق فى سقف الحجرة ثم قلت له : وما هى الأسئلة التى لم يقتنع هؤلاء الناس بإجابة رجال الدين عليها ؟ .

قال لي : إن معظم هذه الأسئلة والأفكار تدور حول ماهية يسوع الرب والسيدة العذراء والروح القدس ولماذا قام الرب بالفداء ولم يعف عن آدم لارتكابه الخطيئة ، ولماذا لم توجد بدائل غير تجسد الرب فى جسد إنسان وغير ذلك ، مثل : لماذا يعتنق بعض المسيحيين الإسلام إذا كان الدين المسيحى هو دين الحق ؟ وقد جاءنا بعض الناس وأظهروا رغبتهم فى اعتناق الإسلام وحاولنا معهم بكافة السبل من أجل إعادة إيمانهم بيسوع الرب له المجد ولكن دون جدوى فكان الحل الوحيد هو الموت .

بعدما سمعت هذا الكلام أحسست أننى لم أتعلم شيئاً طوال تلك الفترة التى قضيتها فى تلك الكنيسة وشعرت أن هناك شيئاً ما لم أعرفه ولم أفهمه ، ولكن هناك كلمة واحدة علقت فى ذهنى من كل ذلك وهى الإسلام !!! ، فقلت له : وما هو الإسلام ؟ هل هو دين ؟ ، قال لي : إنه ليس دين سماوى كما يدعى أصحابه وإنما هو مجموعة من الأفكار المرتبة والمنظومة فى سياق محكم خرج بها أحد الشعراء البدو من سكان شبة الجزيرة العربية ، والبدو يعيشون فى جهل شديد جداً بعيداً عن الحضارة والمدنية ، ولذا كانوا أرضاً خصبة لنمو وانتشار أفكار ذلك الرجل الذى يدعى [محمد بن عبد الله] الذى تمكن بشعره وسحره من جمع هؤلاء البدو حوله ليكوّن بهم دولة عربية تمكنوا من خلالها ولظروف كثيرة من السيطرة على العالم منذ القرن السابع وحتى القرن السادس عشر الميلادى وذلك أثناء فترة العصور الوسطى التى أصابت العالم المسيحى فى أوربا نتيجة البعد عن الرب والانغماس فى ملذات الحياة ، وقد استمد هذا الرجل أفكاره من تعاليم الأديان السابقة وأقوال الأنبياء القدامى ومن تعاليم يسوع الرب له المجد ، وقد اعتمد فى ذلك على حسن حديثه ودقة كلماته وحلاوة لسانه وصدق منطقة ، وقد مهد لذلك الأمر باتخاذه الصفات الحسنة بين قومه واشتهاره بها مثل الصدق والأمانة والطهارة الأمر الذى جعل أكثر البدو يؤمنون به ولا يتشككون فى كلامه ، وحتى يقوم بتثبيت هذه الإدعاءات قام بتأليف كتاب أسماه القرآن ، وقال أنه من عند الرب حتى يضفى الروحانية على دعوته .

قلت له : ما هو عدد المؤمنين بهذا الدين الإسلامى حالياً ؟ .

قال : ما يقرب من مليار نسمة . قلت : هذا عدد كبير جداً .

قال : أنت تعلم أن عدد الذين يدينون بالبوذية فى الصين وشرق آسيا يقرب

على اثنين مليار نسمة وعدد المؤمنين بالهندوسية فى الهند يقرب من المليار ، وهؤلاء قوم وثنيون يعبدون الأحجار والأبقار ، فليس عدد المؤمنين بدين مؤشراً على صحة هذا الدين .

أنهيت كلامى مع الرجل وخرجت من عنده وأنا مشوش التفكير وأكثر شيء أقلقنى هو هذا الأسلوب الذى يتعامل به هؤلاء الناس مع الراغبين فى المعرفة الدينية ، كيف يتعامل هؤلاء الناس وهم أتباع يسوع الرب ومبشريه فى الأرض بهذا الأسلوب الوحشى الذى لا يتفق مع تعاليم المسيحية .

لقد أصابنى شيء من الفزع والرعب عندما تصورت أننى كان من الممكن أن أكون فى عداد الأموات وأدركت أن هناك شيئاً خطأ ولكن ما هو ؟ ، هل هو في أنا ؟ ، أم هو فى هؤلاء الناس ؟ أم فى المجتمع ؟ أم فى العصر الذى نعيشه ؟ ، أيضاً من الأشياء التى شغلت تفكيرى هؤلاء الناس الذين اعتنقوا الإسلام وتساءلت لماذا ترك هؤلاء المسيحية واعتنقوا الإسلام ؟ ، ولماذا هذا الإسلام بالذات وليس ديناً آخر ؟ ، ولماذا هذا الحقد والكره الشديد الذى يكنه المجتمع المسيحى للمسلمين بالذات دون غيرهم من الأمم التى لا تدين بالمسيحية ؟!! ، ولماذا يخاف الغرب من المسلمين ما داموا ضعفاء ؟! .

عدت ثانية إلى الأسئلة التى لا أجد لها إجابة ، الأمر الذى جعلنى أقوم بحركات هيستيرية داخل الحجرة فكنت أقوم بالدوران فى الحجرة وأضرب الحائط بيدى حتى سالت منها الدماء وأنا لا أدرى ما الذى أصابنى ، وجعلت أتسائل : إذا كانت المسيحية صحيحة فلماذا ذلك الخوف من أى دين آخر ؟ ولماذا نقوم بقتل من يحاول المعرفة ؟ وأخيراً وقعت على الأرض من شدة الإعياء والإرهاق ، وغلبنى النوم ولم أستيقظ إلا فى اليوم التالى .

استيقظت من النوم وقد أحسست ببعض الراحة الجسدية والنفسية ولكن ما السبيل إلى الراحة الدائمة ؟ ، لقد درست الكثير وقرأت الكثير وحصلت على الماجستير والدكتوراه ، ومع ذلك لازلت أشعر أن هناك شيئاً لا أعرفه ، شيئاً لا أفهمه ، ولكن ما هو هذا الشيء ؟ لا أعرف .

وخطر ببالى هذا الأمر ، لماذا لا أقوم بدراسة أفكار هذا الذى يسمى دين الإسلام ، وأرى ما سبب تمسك معتنقيه به وتحول بعض المسيحيين إليه ، ولكن كيف أدرس هذا الدين ؟ هل أتوجه إلى أحد المساجد التابعة للمسلمين بالعاصمة ولكن هذا أمر خطير ، فلو رآنى أحد وأنا أتردد على هذا المكان قد يعتقد أننى أميل إلى هذا الدين وينتهى الأمر إلى الموت ، وهل أدعوا أحد رجال الدين الإسلامى إلى بيتى ، وهذا أيضاً لا ينفع ، وإذا سألت رجال الدين لدينا فى الكنيسة فبالطبع أرائهم ستكون متحاملة وغير موضوعية .. إذن ما هو الحل ؟ .

لقد تصادف فى هذه الأثناء ولحسن الحظ احتفال العالم باستقبال عام ميلادى جديد ، وبدأت الاستعدادات لاحتفالات الكريسماس فى كل العالم المسيحى وغير المسيحى ، وأخذت الكنائس فى التأهب لاستقبال الناس لأداء الصلوات والأدعية ليبارك يسوع الرب له المجد هذا العام الجديد ، وهناك بعض الناس يقومون بالحج إلى الأراضى المقدسة فى أورشليم « القدس » فى إسرائيل أو زيارة مقر البابا فى الفاتيكان أو زيارة مصر ، حيث هربت مريم العذراء بيسوع وهو طفل خوفاً من الرومان ، ولذا قلت لنفسى لماذا لا أقوم بزيارة الأماكن المقدسة فى إسرائيل لأتخلص من الخوف الذى سيطر عليّ وأكون فى حضرة الرب العظيم له المجد فى أرضه المباركة وأقضى فترة الإجازة السنوية فى هذه الأجواء المليئة بالروحانية والإيمان ، ومن ناحية أخرى أمنح نفسى وجسدى

وعقلي بعض الراحة بعد كل ذلك الإرهاق .

وبالفعل قمت بإعداد كل الترتيبات للسفر إلى الأرض المقدسة بالشرق وقمت بزيارة والدي وأختي وأخبرتهم أنني مسافر لأقضى الأجازة والحج فى الأراضى المقدسة ، وبعد ذلك توجهت إلى الكنيسة حيث التقيت برجال الدين هناك وأخبرتهم بسفرى فرحبوا بالأمر جداً ، بل أن أحدهم عرض عليّ إعطائى مبلغاً من المال ليكون عوناً لى فى رحلتى ولكنى شكرته ، وقلت له : إن معى الكثير من المال وأوصانى بزيارة بعض الأماكن وتوصيل تحياته إلى الأصدقاء بها إن كانوا على قيد الحياة ، وقال لي :

يا أخى إنى أتوقع لك مستقبلاً مشرقاً وسوف يكون لك شأناً عظيماً ، وأتمنى من الرب أن أكون حياً عندما أراك فى هذه المكانة ، وكم كنت أتمنى أن أصحبك فى رحلتك هذه إلى الأراضى المقدسة ولولا كبر السن واعتلال الصحة ما ترددت فى ذلك ، وعموماً أتمنى لك التوفيق وأن تعود إلينا سالماً بإذن الرب يسوع له المجد ، وانتهى اللقاء بيننا .

وجاء وقت السفر وتوجهت إلى المطار وركبت الطائرة متوجهاً إلى إسرائيل ، أخذت وأنا جالس فى الطائرة أسترجع الأيام والأحداث التى مرت بى منذت خرجت من كلية الطب حتى اللحظة التى صعدت فيها الطائرة ، وبعد ساعات لم أعرف قليلة أو كثيرة وصلنا إلى مطار تل أبيب عاصمة إسرائيل ، وعندما نزلت من الطائرة أحسست أننى مقبل على دنيا جديدة وغريبة لا أعلم عنها شيئاً وفترة جديدة من حياتى أتمنى أن تكون أحسن مما سبق ، فالأوضاع هنا فى إسرائيل كما أعلم وكما أشاهد فى التليفزيون غير مستقرة دائماً ، فهناك مظاهرات كل يوم لا تنقطع وقتلى ومصابين ورصاص وقنابل ولا أعلم كيف يعيش الناس فى هـذا الجو منذ ما يربو على خمسين عاماً .

ومن الأشياء التى استغربت لها حقاً إصرار هؤلاء المسلمين على عنادهم وصمودهم ضد اليهود على الرغم من التفوق الكبير لليهود فى الأسلحة والعتاد الحربى ، ولا أدرى لماذا يتمسك هؤلاء المسلمين ذلك التمسك الشديد بما يسمى المسجد الأقصى ، فما أهمية هذا المسجد الذى يجعلهم يُقتلون فى سبيله ومع ذلك لا يتراجعون ، مع العلم أن هناك مساجد أخرى كثيرة لهم يؤدون فيها صلواتهم ، فماذا سيحدث إذا هدم هذا المسجد .

إن اليهود يقولون إن هذا المسجد قد بنى على هيكل سليمان القديم وهم يريدون أن يهدموه ليقيموا عليه هيكلاً جديداً يتعبدون فيه ، وهذا الأمر من حقهم لأن المسلمين قد اغتصبوه منهم ، أما المسلمين فيقولون إن رسولهم قد زار هذا المسجد وأدى الصلاة فيه ، ولهذا فإنه يعتبر ملكاً لهم ، وهذا فى حد ذاته أمراً سخيف ، إذ أنه لمجرد أن رجلاً معيناً قام بزيارة مكان ما يصبح هذا المكان مقدساً لاتباعه مهما كانوا ، أن هذا أمر لا يعقل ولا يقبل .

ومن الأمور التى تدعوا إلى الاستغراب الشديد أيضاً من هؤلاء المسلمين أن هناك مساجد لهم قد هدمت فى أماكن ودول أخرى واكتفوا بالتنديد والاستنكار والشجب فقط ، ومثالاً على ذلك مسجد أوترا براديش فى الهند الذى قام الهندوس الذين يعبدون البقر بهدمه لإقامه معبداً هندوسياً مكانه ، وانتهى الأمر وأصبح كأنه لم يكن ، فما هو الفارق بين هذا المسجد وذاك إذا كان الاثنين مكان عبادة لهم .

والذى يدعوا إلى الدهشة حقاً أن المسلمين فى الهند أحرار ولم يتمكنوا من الدفاع عن مسجدهم ، بينما المسلمين فى إسرائيل محتلين ولكنهم يقفون أمام أى مخطط إسرائيلى لهدم ذلك المسجد ، فما هو السر ؟ ، لا أعرف ؟ عموماً وصلت إلى الفندق الذى قمت بالحجز فيه من بلادى وهو أحد الفنادق

الكبرى فى تل أبيب ، وعلى الرغم من وقوع إسرائيل فى بلاد الشرق إلا أنها لا تختلف كثيراً عن الدول الأوربية ، لذا فإنى لم أكن أشعر بالغربة وأنا فى تل أبيب ، فكثيراً ما كنت أقابل أناساً يهوداً من جنسيتى ، لذا فقد سارت الأمور على نحو يسير فى هذا الوقت .

وقضيت أول ليلة لى فى تل أبيب وقد كنت متعباً جداً من السفر لدرجة أننى نمت ولم أستيقظ إلا الساعة الحادية عشر من صباح اليوم التالى ، تناولت طعام الإفطار ثم نزلت من غرفتى وأخذت دليلاً من موظف الاستقبال بالفندق لمعالم إسرائيل حيث ذهبت فى جولة قصيرة شاهدت خلالها أهم المعالم فى مدينة تل أبيب واستمتعت حقاً بمنظر غروب الشمس على شواطئ تل أبيب الساحرة .

فى اليوم التالى حيث بدأت الاحتفالات بأعياء الميلاد توجهت إلى أورشليم « القدس » حيث قمت بزيارة أهم الأماكن المسيحية المقدسة بها مثل كنيسة القيامة ، وكنيسة المهد ، وكنيسة جبل الزيتون ، واحتفلت مع آلاف المسيحيين بعيد ميلاد يسوع الرب له المجد فى جو من الروحانية والخشوع والإجلال حتى أنى تمنيت لو كنت أتيت هنا منذ أمد بعيد ، ولا أفارق هذا المكان أبداً ، ومرت احتفالات عيد الميلاد بسلام وهدوء ، ولكن حدث ما لم أكن أتوقعه فى هذه الأثناء ، كنت قد حجزت فى أحد الفنادق فى أورشليم وأثناء عودتى إلى الفندق فوجئت بمظاهرة يقوم بها الشباب والأطفال الفلسطينين ضد جنود الجيش الإسرائيل ، فيقوم الفلسطينين بقذفهم بالحجارة بينما يقوم الجنود بقذفهم بالقنابل المسيلة للدموع والرصاصات المطاطية والحية الأمر الذى يؤدى إلى سقوط الكثير من القتلى والمصابين ، وجدت نفسى محاصراً بين هؤلاء وأولئك لا أعرف أين أذهب ، وظللت واقفاً فى الشارع لا أدرى ماذا أفعل .

لقاء مع الشيخ

وفجأة وجدت رجلاً كبيراً فى السن ذو لحية كثيفة ، واقفاً أمام بيته ينادى عليّ ويقول لي : تعالى هنا يا أخى حتى تنتهى المظاهرة .

ولم أجد بداً من اتباع كلامه وتوجهت إليه ، فأخذنى ودخلنا إلى داخل البيت ، وقد اعتقدت أول الأمر أنه شخص مسيحى ولكنى عندما دخلت إلى البيت لم أجد ما يوحى أنه بيت شخص مسيحى فلم أجد مثلاً صليباً أو صورة ليسوع الرب أو العذراء ، ولكنى وجدت لوحات تحمل ما استنتجت أنه أيات من ما يسمى القرآن ، وهو كتاب المسلمين المقدس ، وصدق ظنى فهذا الرجل مسلم ، ولكن لم أر ما يدعوا إلى الخوف من هذا الرجل فهو شعور طيب منه أن ينقذنى من هذا المأزق الذى وقعت فيه مع علمه أنى مسيحى حيث كنت ألبس سلسلة تحمل الصليب على صدرى ، وقد عاملنى بمنتهى الكرم والاحترام ، حيث أجلسى وسألنى ماذا أشرب وعندما قلت أنه لا داعى لذلك رفض وأصر أن يجلب لى شيئاً ، وقال لى : سأتى لك بفنجان من القهوة لتدفئتك فى هذه الأيام الباردة ، وقلت له : لا بأس ، وتركنى وذهب وقد لاحظت أن يتكلم الانجليزية طبعاً بلهجة أهل المشرق ، ثم عاد ومعه القهوة وأعطانى إياها وجلس ثم قال لي : أنت مسيحى طبعاً .

قلت له : نعم ... قال لي : ما هى وظيفتك ؟ ...

قلت له : إننى حاصل على بكالوريوس فى الطب البشرى وعملت كطبيب فى أحد المستشفيات الحكومية ، وأثناء عملى بالحكومة التحقت بأحد المعاهد الخاصة بالتدريس فى الديانة المسيحية والملحقة بأحد الكنائس حيث

قمت بتحضير رسالة الماجستير فى الدراسات اللاهوتية وموضوعها « العذراء حاضنة الرب » ثم أتبعتها برسالة دكتوراه حول « طبيعة تجسد اللاهوت بالناسوت » وقد وفقنى الرب ونجحت فيها بدرجة ممتازة جداً ، وقد أتيت هنا للحج إلى الأراضى المقدسة .

قال لي : إن هذا شيء يدعوا إلى التقدير والاحترام حقاً ، فأنت على قدر كبير من العلم وإلى جانب ذلك فأنت عالم دين متفقه أيضاً ، ثم بادرنى بهذا السؤال الغريب والعجيب والذى أربكنى فى ظل هذا الجو من الاضطرابات السائدة فى هذه المنطقة وكان السؤال هو : ما هو رأيك فى الإسلام والمسلمين فى ظل ما تراه حالياً فى الأراضى المقدسة ؟ وأرجوا أن تجيب بكل صراحة ولا تخشى شيئاً ؟ .

نظرت إليه وأنا متحير لا أعرف بماذا أجيبه وانتظرت فترة لم تكن بالطويلة ثم قلت له : على الفور : إذا كنت تريد رأيى بصراحة ودون كذب وأنا فى ذلك لا أخشى شيئاً لأننى قد تعودت على قول الصراحة مهما كانت النتائج فإننا لا نعتبر هذا الإسلام ديناً كما تقولون ،و بالتالى فإننا نعتبركم كفار لأنكم لا تدينون بدين سماوى ، وأرجو أن لا يؤدى ذلك إلى أى غضب ...

قال لي : وما رأيك فى الرجل صاحب هذا الدين وهو « محمد » ؟ .

قلت له : هو رجل عادى أراد أن يتزعم قومه ويقيم له دولة .

قال لي : وما رأيك فى كتاب المسلمين المقدس « القرآن » ؟ .

قلت له : هو كتاب من تأليف هذا الرجل المدعو « محمد » وقد استعان فيه بالكتب القديمة مثل العهد القديم والعهد الجديد ، وقد أضاف إليه بعض الأفكار الخاصة به ليصنع ديناً جديداً .

قال لي : إذن أنتم تعتبرون هذا الرجل المدعو « محمد » هو رجلاً عادياً وليس رسولاً ولا يختلف عنى وعنك ، وبالطبع فإن عقله محدود مثلى ومثلك وأنه لم يكن أمياً وكان يجيد القراءة والكتابة والشعر ، وأنه ألف هذا « القرآن » واستطاع به أن يسحر عقول قومه لبلاغه وصفه ودقة كلماته وبيان ألفاظه ، وقد اعتمد فى كتابه هذا القرآن على الكتب السماوية المنزلة قديماً مثل التوراة والانجيل أو أخبار الأمم السابقة التى تناقلتها أجيال العرب جيلاً بعد جيل ، وبالطبع فإن هذا الرجل العادى البدوى ذو العقل المحدود الذى هو مثلى ومثلك لا يستطيع أن يتنبأ بالغيبيات أو أى أحداث مستقبلية .

قلت له : نعم .

قال لي : حسناً ... بما أنكم تعتبروننا مجموعة من الكفار ، فإن قتلنا يعتبر عندكم واجب مقدساً ، ولعل أحداث التاريخ القديم والحديث تؤكد هذا القول.

قلت له : سيدى لا أستطيع أن أوافقك على هذا القول .

قال لي : ولكن لماذا هذا الكره الشديد للمسلمين بالذات دون غيرهم من شعوب الأرض ، إن هناك شعوب أخرى تعبد الأصنام وأخرى تعبد الأشجار ، وأخرى تعبد الأبقار ، وكلهم كفرة فلماذا نحن بالذات الذين تكنون لنا كل هذا الحقد والكره ؟!! لماذا ؟! .

قلت له : محاولاً تهدئة الموقف : ومن قال لك أننا نكرهكم ياسيدى أو نريد التخلص منكم ؟ ، فنحن جميعاً نعيش فى كوكب واحد ويجب أن نتعايش معاً فى سلام وأمن حتى نحفظ هذا الكوكب للأجيال القادمة .

قال لي : لقد كنت أريد أن أصدق كلامك لكن كل الأحداث تؤكد عكس ذلك ، وأنا لا أريد الخوض فى هذه الأمور ولكنى أريد أن أطرح عليك سؤالاً : ألم يأت يسوع بالسلام للبشرية ؟ .

قلت : نعم .

قال : فلماذا أنتم تشعلون الحروب فى كل مكان فى العالم ؟ .

قلت له : ياسيدى لا يمكن أن تطبق ما تقوم به قلة من البشر أو المسيحيين على كل المسيحيين ، فسلة الفاكهة إذا كان بها ثمرة فاسدة لا يعنى أن كل الثمار فاسدة ، أليس كذلك ... وإنى أريد أن أعرف شيئاً ... هل تؤمنون حقاً بيسوع الرب ؟.

قال لي : نعم نحن نؤمن بكل الأنبياء الذين أرسل الله لهداية البشر ومنهم بالطبع « عيسى عليه السلام » .

قلت له : وإذا كنتم تؤمنون بعيسى فلماذا لا تتبعون المسيحية وتتركوا هذا الذى يسمى الإسلام ؟

قال لي : لأن الإنجيل الموجود بين أيديكم الأن ليس هو الإنجيل الصحيح وإنما هو إنجيل تم تحريفه لتحقيق أغراض معينة أرادها بعض الملوك والأباطرة .

قلت له : هل يمكن أن توضح لى هذا الأمر إذا كان كلامك فعلاً سليم؟ ..

قال : إن نقطة الخلاف بيننا وبينكم أننا نؤمن بعيسى النبى الذى أرسله الله بينما أنتم تعبدون عيسى الرب أو ابن الرب .

قلت له : وما هو وجه الخلاف فى أن ياسوع هو الرب حقاً ، إن البشر كانوا فى حاجة لمن ينقذهم ويجدد طبيعتهم ، أى أنهم كانوا بحاجة إلى منقذ ومجدد ومثال ، فالمنقذ ينقذهم ويفديهم ويخلصهم من الخطية ، فبعد سقوط آدم وطردة من الفردوس محكوماً عليه بالموت بدأ يظهر الندم والاعتراف والصلوات والذبائح ، وكان تقديم الذبيحة يعنى أنه أحس بحاجة إلى « فادى »

ولكن كان مستحيلاً أن يكون الحيوان وسيطاً بين الإنسان والله ، إذ معنى الفداء هو أن هناك ضرورة لوسيط ينقذ والمجدد يجدد طبيعة الإنسان بعد أن أفسدتها الخطية ، ولا يستطيع أن يقوم بهذا إلا الله فقط لأنه هو خالق الإنسان ، لذا كان من الضرورى أن يأتى الله متجسداً للإنسان ليقيمه من سقطته ويجدد خلقته .

والمثال : حيث كان البشر بحاجة لمن يقدم لهم مثال الكمال الإنسان ولذا فإننا نجد فى شخص المسيح المبارك تحققت هذه الحاجات الثلاث ، ولم يكن هناك حلاً لخطيئة آدم سوى التجسد لأن الإنسان عندما سقط تنازعه مطلبان ، العدل الذى يطلب تنفيذ الحكم كاملاً والرحمة تطلب الصفح التام ، ونشأت عن هذا الموقف مشكلة لم يحلها سوى حل التجسد لأننا نجد فيه كل الرحمة فليس هناك أعظم من أن يقبل الله أن يتخذ جسد إنسان ، وكل العدل لأن الله قبل على نفسه تنفيذ الحكم الذى أصدره هو بنفسه على الإنسان وبذلك يتحقق الفداء الذى ليس له طريق آخر ، ولم يكن من الممكن أن يسامح الرب أدم على خطيئته باعتبار أنه إله كل محبه ، وذلك لأنه إذا سامح الرب آدم بسبب محبته اللانهائية ، فأين عدله اللانهائى الذى حكم بالموت ؟ ، ولابد من تنفيذ الحكم ، إن الله لا انفصال فى صفاته ، فكما هو رحيم فهو عادل بمعنى أن رحمة الله مملؤة عدلاً ، وعدل الله مملوء رحمة .

إن الإنسان لا يستطيع من تلقاء نفسه أن يعرف الله ، والله لكماله لا يريد أن يبقى مجهولاً من الإنسان صنعة يديه ، وبما أنه لا يعرف الله سوى الله ، إذن لا يمكن أن يعرف الإنسان الله إلا بواسطة الله ، لذلك كان من البديهى أن يتنازل الله ويتخذ شكل إنسان لكى يسهل أمام الإنسان سبيل الالتقاء به ومعرفته .

قال لي : إن هذا الكلام من وجهة نظرك أنت ومن يؤمن به يعتبر صحيحاً ومقنعاً لأنكم تريدون أن تقنعوا أنفسكم به ، ولكنه من وجهة نظرى أنا كلام خاطئ ، فأنتم تعتبرون دينكم هو الدين الخاتم بينما نحن أيضاً نعتبر ونؤمن أن ديننا هو الدين الخاتم للأديان ، ونقطة الخلاف الجوهرية بيننا هو أنكم تؤمنون بعيسى الإله بينما نحن نؤمن به كنبى مرسل من قبل الله عز وجل . ودعنى من فضلك أتناقش معك فى هذا الأمر ... أنك قلت لي أنك درست تاريخ المسيحية منذ نشأتها حتى الآن ، فمن الطبيعى جداً أنك تعلم أن مشكلة طبيعية السيد المسيح كانت مثار شك وجدل فترة طويلة من الزمن منذ القرون الأولى للمسيحية ، ولعلك أيضاً تذكر المجامع المسكونية التى تم عقدها عقب اعتبار المسيحية هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية بعد اعتناق الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٨ - ٣٩٥) للمسيحية .

لقد انعقدت أولى هذه المجامع عام ٣٢٥م بمدينة نيقية بآسيا الصغرى « تركيا الحالية » لمناقشة ما أسميتموه بدعة الهرطوقى « اريوس » والذى قال بأن « المسيح ليس إله » بل هو مجرد وسيط بين الله والناس « رسول » . وانعقد المجمع لمناقشة هذا الأمر ، وبعد انتهاء المناقشات وتقديم كل طرف لحججه تم أخذ الأصوات للخروج بقرار وكأننا فى قاعة محكمة نناقش جريمة قتل ، ومن الطبيعى جداً أن تكون الأصوات التى تقول بأن السيد المسيح هو إله أكثر لأنها هى التى أقرت ذلك من قبل بناءً على أهواء ورغبات أعوان الامبراطور ثيودوسيوس حتى يؤمن بالمسيحية فقد اعتبروا أن السيد المسيح إله نزل من السماء ليهدى البشر مثل الألهة التى كانوا يعبدونها فى الوثنية ، وبالتالى فلا اختلاف بين هذا وذاك ، وعلى هذا فقد تم تكذيب أريوس وانتهى الأمر إلى قتله للقضاء على دعوته .

أما المجمع الثانى فقد عقد عام ٣٨١م بمدينة القسطنطينية فى شبه جزيرة البلقان لمناقشة ما أسميتموه أيضاً « بدعة الهرطوقى مقدونيوس » الذى قال بأن الروح القدس ليس إلهاً ، وكما جرى فى المجمع الأول جرى فى الثانى ، وانتهى الأمر أيضاً بقتل مقدونيوس .

أما المجمع الثالث فقد عقد عام٣٤١م بمدينة إفسس بآسيا الصغرى « تركيا الحالية » لمناقشة ما أسميتموه « بدعة الهرطوقى نسطور » الذى قال بأن السيدة مريم العذراء هى والدة جسد المسيح فقط ، وليست والدة الإله ، وتم تكذيبه أيضاً وقتله فى النهاية .

أريدك الأن أن تلاحظ معي بعض الأمور:

أولاً : أن هؤلاء الثلاثة قد أجمعوا على اعتبار أن السيد المسيح ليس إلهاً وإنما هو بشر عادى أرسل من قبل الله عز وجل .

ثانياً : أن الفارق الزمنى الكبير بين هؤلاء الثلاثة لا يدع مجالاً لالتقاءهم وتعرف أحدهم على فكر الشخص الآخر .

ثالثاً : أن أراء كل واحد من هؤلاء الثلاثة تختلف عن الآخر ولكنها تدور حول نفس الفكرة وهما أن السيد المسيح ليس إلهاً .

رابعاً : أن هؤلاء الثلاثة لم يقوموا بالدعوة إلى دين جديد أو رغبة منهم فى الحصول على منافع مادية أو أدبية ولكنهم طرحوا هذه الأراء لأنهم وجدوا أن هناك خطأ ما يشوب عقيدتهم فحاولوا إصلاحه .

خامساً : أن المسيحية قد سارت منذ دعوة المسيح صحيحة ولم يشوبها أى خطأ ولم يخرج مثل هؤلاء الهراطقة كما تسمونهم ليقول رأياً مخالف حتى اعتنق الامبراطور ثيودوسيوس المسيحية وبعدها مباشرة خرج « أريوس » وينعقد

المجـمع المسكونى الأول ، إذن هناك تغـيـر مما أدى إلى خـروج هـذا الرجل بفكرته .

سادساً : أن هناك تشابهاً كبير إن لم يكن متطابقاً بين المسيحية على هذا النحو وبين الوثنية القديمة والتى تقول بأن هناك إله وزوجه وأبناء ألهه وهكذا ، أو أن الله يتخذ صورة أدمى لينزل إلى البشر ويتحدث معهم ويأكل ويشرب ، فمـا الفـارق إذن بين الخالق وبين المخلوق ؟ ، وإذا كـان الله يأكل ويشرب ألن يحتاج بالطبع إلى الإخراج ، فعل يعقل فى رأيك أنت أن هناك إله يخرج مثل البشر !! ، وإذا قلت أنه لم يكن يخـرج لأنه إله ، أقـول لك إنه بذلك يخـالف القواعد الإلهية التى وضعها للبشر فكما قلت أن عدله نهائى ورحمته نهائيه سابقاً فى عدم قبول توبه آدم ، إذن عدم إخراجه إذا كـان يأكل ويشرب يعتبر مخالفاً لقاعدة الإخراج عقب الأكل والشرب التى يسير عليها كل البشر والحيوانات حتى النبات يخرج ما يزيد عن حاجته على هيئة بخار ماء ... أليس كذلك ؟ .

سابعاً : لقد صورت الكتب المقدسة لديكم الله « العهد القديم – العهد الجديد » فى صور لا تليق أبداً بجلال الله سبحانه وتعالى ، ولا يقبل أى إنسان يؤمن بالله حقاً أن يصفه مثل هذه الصفات من ذلك :

١ - أن موسى النبى رسول الله لبنى إسرائيل عليه السلام يرى مؤخـرة الله « ثم ارفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يُرى » [الخروج ٣٣ – ٢٣] .

بالله عليك تصور هذا المنظر وأنت ترى مؤخرة الله – عز وجل عن ذلك – وهذا الكلام يقتضى تحديد الله فى جهه وحيز ، والله عز وجل منزه عن الجهه والحيز ، فهل تعتقد وتؤمن بأن هذا الأمر قد حدث فعلاً ؟ ، هل يمكن أن

يصدق عقل بشرى يفكر أن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون الفسيح بما فيه من كواكب وإجرام ونجوم وسماوات وأرض ومخلوقات متعددة ، هل يمكن لهذا الإله أن يحده زمان ويسعه مكان ؟!! .

إن فى اعتقادى المتواضع أن أبسط قواعد الإيمان بالله عز وجل تفترض أنه ذو هيئة غير معروفة لأنه لا أحد من البشر قديم أو حديث رأى الله لأنه لو رآه حقاً لانغمض عينيه بقية حياته حتى لا يرى شيئاً آخر دون الله عز وجل .

٢ - تشبيه الله عز وجل بأنه « سكير - سكران » « فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر » [المزامير ٧٨ - ٦٥] .

إن هذه الآية تحمل صفتان لا أدرى كيف يقبل أى إنسان لديه عقل يفكر به أن تكون من صفات الله عز وجل ، فكيف يقبل العقل أن الله ينام أو يسكر فمن يحكم الكون إذا نام الله ؟! ، وإذا كان سكران فكيف يتحكم فى أفعاله وتدابير الكون من حوله ومخلوقاته .

٣ - إن الله يندم على خلق الإنسان ويحزن « فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه » [التكوين ٦ - ٦] .

٤ - الله يشم « فتنسم الرب رائحة الرضا » [التكوين ٨ ، ٢١] .

ترى فى تلك الآيات أنه قد تم تشبيه الله بالإنسان من حيث أنه يحزن ويندم ويأسف ويشم ويتحدث إلى نفسه كما لو أننا نعبد إنساناً وليس إلهاً يتحكم فى كون لا نزال حتى الأن لا نعرف حدوده .

٥ - تشبيه الله بأنه أسد وأنثى الأسد :

« جثم كأسد ربض كلبوة » [العدد ٢٤ : ٩] .

وهذا ما لم يكن أتوقعه أبداً إلا عندما قرأته حيث تم تشبيه الله عز وجل

عن ذلك بحيوان من مخلوقاته ، ولا أدرى كيف طوعت يد من كتب ذلك أن يكتبه وكيف يقبل كل من يقرأ ذلك أن يؤمن به ويصدقه ويقبله .

٦ - تشبيه الله عز وجل بالنار :

« وكأن منظر مجد الرب كنار آكلة على راس الجبل أمام عيون بنى إسرائيل » . [الخروج : ٢٤ - ١٧] .

لا أدرى إذا كان هذا الكلام صحيحاً فكيف يقبل الله أن يظهر فى صورة هذه النار الوضيعة التى خلقها ليعذب بها العاصين لأوامره ، ومن ناحية أخرى ألم يجد الله أفضل من النار التى يمكن اطفائها بالماء لكى يظهر بها لبنى إسرائيل .

٧ - الله عز وجل يتعب ويستريح :

« لأنه فى سته أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس » [الخروج ٣١ : ١٧] .

كيف يقبل عقل مخلوق أياً كان أن يصف خالقه بأنه يتعب ويستريح ، إنه بذلك يضع الله عز وجل تحت قانون الخلق البشرى ، فالتعب والاستراحة من صفات المخلوقات فقط من بشر وحيوان وجن وملائكة ، وإذا كان الله عز وجل قد تعب فليس من المستبعد أن يتعب مستقبلاً أيضاً ، وإذا كان استراح فعلاً فهو بلا شك كان فى غفوة عن الكون الذى يحكمه ، لأنه يشبهنا فى ذلك ، فنحن عندما نستريح بعد التعب فإننا لا نعى ما حولنا .

٨ - تصوير الله عز وجل مثل الإنسان :

« نعمل الإنسان على صورتنا وكشبهنا » [تك ١-٢٦] .

إذن تبعاً لهذه الآية فنحن نعبد إلهاً لا يختلف عننا سواء فى الصورة أو

الصفات فإن له شهوات وغرائز وأطماع ويأكل ويشرب ويخرج ويجوع ويعطش وغير ذلك من صفات البشر ، ولا أعرف من يقبل ذلك ؟ .

والأن أريدك أن تتفهم هذا الكلام جيداً فإن أدركته بعقلك فسوف تعرف أن كل حديثي إليك صحيح ، ألم يذكر كتابكم المقدس « إذا كان صحيحاً » ظهور المسيح لتلاميذ بعد موته : « ما بالكم مضطربين ، ولماذا تخطر أفكارفى قلوبكم ؟ انظروا يدى ورجلى : إنى أنا هو ، جسونى وانظروا ، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون » ، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه ، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون ، قال لهم : « أعندكم ههنا طعام ؟ » فناولوه جزءاً من سمك مشوى ، وشيئاً من شهد عسل ، فأخذوا كل قداحهم » [لوقا ٢٤ :٣٨ - ٤٣] .

لماذا طلب المسيح من تلاميذه أن يدققوا النظر إليه ؟ ويجسوه ؟ ويقول لهم : إن الروح ليس له لحم وعظم ، إذن فهو كان يتكون من لحم وعظم ، وهى مكونات البشر ، وبالتالى فهو بشر ، ومن ناحية أخرى لماذا طلب منهم أن يأتوه بطعام وأكل قدامهم ؟ ماذا أراد أن يثبت من ذلك ؟ لقد أراد أن يثبت أنه ليس روح وأنه يأكل ويشرب ، وبالتالى فهو بشر مثلهم ، وإذا كان هو الله حقاً فهو لم يكن بحاجة لأن يأكل ويشرب ويجعلهم يتحسسوا جسمه ليثبت لهم ذلك، فالأكل والشرب هو من صفات المخلوقات من إنس وجن وحيوانات فقط.

والأن أريد منك أيضاً أن تفسر لي معنى هذه الآية :

« وفى الساعة التاسعة صرخ ياسوع بصوت عظيم قائلاً : « الوى الوى لما شبقتنى » . [مرقس ١٥ - ٣٤] .

قلت له أن تفسيرها : « إلهى إلهى لما تركتنى » .

قال : حسناً جداً : أريد أن أعرف إذا كان المسيح هو الله حقاً وتم صلبه فعلى أى إله كان ينادى ؟ هل هناك إله آخر ؟ ، أنتم تقولون إنه لا يوجد إلا إله واحد فقط ، أليس كذلك ؟ ، فعل تستطيع أن تفسر لى هذا القول ؟! .

قلت : إنه فى هذه اللحظة قد انفصلت روح الله المقدسة المتجسدة فى جسد يسوع عنه أثناء الصلب ، وعندما أحس بذلك يسوع صرخ ونادى على الله حتى ينقذه ولا يتركه .

قال : إذن إن الله حسب قولك وكلامك قد تخلى عن المسيح أثناء صلبه « إذا كان الأمر كذلك حقاً » وعلى هذا فإن الله لم يمت ويقوم من الأموات كما تقولون : « المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث » [لوقا ٢٤-٤٦] .

وحسب كلامك أيضاً فإن الذى مات هو الجسد الإنسانى فقط وعلى هذا فإن الصفات التى يجب أن تتوافر فيمن يقوم بالفداء أمام سقطة آدم كما تقولون تكون قد نقصت وقد قمتم بتحديدها بأربع صفات وهى « أن يكون إنساناً – قابلاً للموت – بلا خطية – غير محدود » .

وعلى هذا فإن تحقيق الفداء الذى قلت بأن الله ترك السماء ليحققه لبنى أدم لم يتم ، فإن الله كما قلت قد قبل تنفيذ الحكم الذى أصدره على آدم وهو الموت على نفسه ، فهو فى هذه اللحظة لم يتم تطبيق هذا الحكم إلا على الجسد الإنسانى فقط الذى تجسد فيه الله كما تقولون ، وعلى هذا فلم يتحقق الفداء كما تقولون من وجهة نظركم ، وعلى هذا فلم تكن هناك جدوى لتلك العملية من أولها حيث كان من الممكن أن يرسل الله عيسى ليبشر بالمسيحية وهو إنسان وقابل للموت وتسير الأحداث كما جرت دون الحاجة إلى تجسد

اللاهوت الناسوت طالما انفصل اللاهوت عن الناسوت قبل الموت كما قلت ولم يحصل الفداء ، وإذا أخذنا قول طائفة أخرى من المسيحيين بأن اللاهوت لم ينفصل عن الناسوت حتى قيام المسيح من الموت ، فهذا أمر يجعلنا ندخل فى قضايا أخرى تحتاج إلى إجابات مقنعة ، والقضية الأولى هى :

من الذى كان يحكم العالم أثناء الفترة التى مات فيها يسوع الرب كما تقولون ؟! ، أما القضية الثانية : فهى إذا كان يسوع الرب مات فمن الذى أحياه من الموت ؟ .

قلت : إنها طلاقة القدرة الإلهية القادرة على كل شيء .

قال : لقد رفضتم قبل ذلك فى أحد الإجابات على الأسئلة مبدأ طلاقة القدرة فيما يختص بميلاد السيد المسيح دون تدخل بشرى وأرجعتم نسبه إلى الله وقلتم أن مبدأ طلاقة القدرة إجابة غير مقنعة وغير مريحة وناقصة ، لأن الله كلى القدرة يسوس العالم والخليقة بقوانين حتمية لا تتخلف ، قانون التوالد لم يحدث فيه غير هذه المرة الواحدة أن وليداً ولد من غير أب هو المسيح ، وإذا لم يكن له أب من الناس فيكون الله هو أباه . بهذه الحجة رفضتم طلاقة قدرة الله عز وجل فى خلق إنسان دون تدخل بشرى ، فكيف تطلب منى أن أطبق مثل هذا المبدأ فى هاتين القضيتين ، فإذا كنتم رفضتم هذا المبدأ من قبل فأنا أرفضه الآن وأريدك أن تأتينى بالإجابة الكاملة على هاذين السؤالين ؟! .

نظرت إلي الشيخ وأنا صامت محاولاً أن أجد ما أرد به عليه ...

فتابع الشيخ قائلاً : أليس النوم مثل الموت ؟ ، ففيه يكون الإنسان غائب عن الحياة من حوله .

قلت : نعم .

قال : فهل إذا أعطيتك حبة منومة ورحت فى نوم عميق فهل تستطيع أن توقظ نفسك أو تتحكم فى أى شيء من حولك أو تدافع عن نفسك ، أو تحرك أطرافك بإرادتك ؟ ...

قلت : لا .

قال : إذن فمن الذى أحيا الله من موته كما يقول بعضكم ؟! .

قلت له : نحن كما قلت لك لا نؤمن بتلك النظريات .

قال : إذن نعود إلى القضية الأولى وهى « ما هو جدوى الفداء إذا انفصل اللاهوت عن الناسوت قبل تطبيق الحكم الذى اتخذه الله على نفسه وهو الموت لكى يفدى بنى آدم ؟! .

وللمرة الثانية أجد نفسى صامتاً ولا أجد ما أجيب به هذا الشيخ العنيد ، حتى إذا هممت بالتحدث وهو ينظر إليّ بادرنى هو بالكلام قائلاً :

هل تستطيع أن تساعدنى فى تفسير بعض الآيات التى وردت فى كتبكم المقدسة ؟.

قلت : نعم .. وما هى تلك الآيات ؟ .

قال : الآية الأولى هى :

« وهذه هى الحياة الأبدية ... أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » [يو ١٧ – ٣] .

من المتحدث هنا ؟ قلت : يسوع ، قال : ومن المتحدث إليه ، قلت : الله ، قال : إذا كنتم تقولون الله قد تجسد فى جسد المسيح يسوع ، فمن هو الإله الذى كان يخاطبه يسوع ؟ ومن ناحية أخرى ألم تلاحظ تلك الكلمات « ويسوع المسيح الذى أرسلته » ، ألا تدل تلك الكلمات على أن يسوع المسيح

هو رسول تم إرساله من قِبل الله ؟ وإذا أمعنت التفكير ألا تجد هذا الكلام يتفق مع كلام الذى أسميتموه « الهرطوقى أريوس » الذى كان يقول بأن المسيح ما هو إلا وسيط بين الله والبشر ؟! .

الآية الثانية هى :

« وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعِد إلى السماء » [لوقا ١٤-٥١] .

بالله عليك أنظر فى فعل « وأُصعِدَ » ألا يدل هذا الفعل على أن هناك قوة أخرى قامت بعملية الإصعاد أو الرفع ليسوع المسيح ، فإذا كان الله قد تجسد فى جسد المسيح ، فمن الذى قام بعملية الإصعاد هذه ؟! ...

الآية الثالثة هى :

« ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله » [مر ١٦ - ١٩] .

هل هناك فرق بين الرب فى أول الآية والله فى أخر الأية ؟ ... إن معنى كلمة الرب هو الله ، والله ليس لها معنى إلا الله . إذن تبعاً لهذه الآية فإن هناك إلهان ، جلس أحداهما إلى يمين الآخر ، وحسب كلامكم هما الله الأب بجوار الله الابن ، وبالتالى فإن الأمر هنا يخالف ما تقولون بأن الله واحد فى عقيدتكم ، وأنه واحد فى ثالوث « الذات والكلمة والروح » وبما أن هذه الأشياء تمثل شيئاً واحداً فلا يجب أن يوجد بجوار الله الواحد أى شىء آخر ، وإذا قلنا إن كلمة الله هى المسيح ، فإن مهمته يجب أن تكون قد انتهت بمجرد موته وصعوده إلى السماء، حيث أنه لا يجب أن يشترك مع الله فى إدارة الكون، لأنه مهما كان فهو بشر وينتمى إلى بنى آدم ، وإذا كنا نريد أن نؤمن بأن الله واحد فيجب أن نؤمن بأن الله واحد فى وحدانيته وليس واحد فى ثالوث ، فالله

الخالق ليس بحاجة إلى من يكمل وحدانيته مثل الكلمة والروح ولا أدرى ما الحاجة إلى كل تلك العملية إذا أراد الله أن نؤمن أنه واحد لا شريك له .

الآية الرابعة :

« ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها » ، وقال له : « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي » .

[متى ٤ – ٨ ، ٩] .

أريد أن أعرف إذا كان الله قد تجسد فى جسد المسيح وهو الله مالك العالم والكون أجمعه ، فهل يعقل أن يغرى إبليس يسوع الرب بممالك العالم ومجدها ، وإذا كان يسوع هو الرب حقاً فهل يعقل أن يطلب إبليس من الله أن يسجد له ؟ ، وهلى سجد الخالق للمخلوق ؟ .

وإذا تصفحت إنجيل متى مثلاً فإنك سوف تقرأ تلك الكلمات كثيراً وهى : « أباكم الذى فى السماوات » – « أبى الذى فى السموات » .

بالله عليك ماذا يفيد لفظ أباكم أو أبى فى تلك الآية ، ألا يعنى أن هناك أب وابن ، وبالتالى تتنافى تبعاً لذلك وحدانية الله ، الأمر الذى يؤدى إلى تشابه المسيحية بالوثنية ؟؟ ...

يا أخى ما رأيك فى كل هذا الكلام ؟! ...

المعجزة الإلهية

صمت فترة وأنا أنظر إليه ثم بادرته قائلاً : إذا كنت لا أستطيع أن أجيب على كل هذه الاستفسارات الكثيرة التى وجهتها لي فهذا لا يعنى أنه لا توجد إجابات عليها ، لأنه بالتأكيد هناك من هو أعلم من فى تلك الأمور ويستطيع أن يجيبك عليها ، ولكن أتعجب من شيء واحد فأنت خلال هذه الفترة وأنت توجه لي الأسئلة حول الدين المسيحى ولم تترك لي الفرصة لأن أسألك أيضاً حول دينك الإسلامى هذا ، وأنا أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط ، وليس عشرات الأسئلة كما فعلت ...

فقال : ما هو هذا السؤال ؟ .

قلت : إذا كان هذا الدين الإسلامى ديناً صحيحاً حقاً ، فهل تستطيع أن تثبت لي بالدليل المادى القاطع الذى أملك أن أحكم عليه بعقلى أنه صحيح وأن هذا الدين حق ؟؟!! ...

وصمت هذا الشيخ وأخذ يحدق فى الأرض واعتقدت لفترة أننى قد خرست هذا الرجل العنيد ولن يستطيع بعد ذلك أن يتكلم فى هذا الموضوع مع أحد ، فكثيراً ما يعتمد أمثال هؤلاء من الذين يدعون إلى دين معين على الضعف النفسى والروحى للشخص الموجود أمامهم ، الأمر الذى يهيئ لهم تربة وجو خصب لفرض أرائهم على هذا الشخص الضعيف ، ولكنى فوجئت بهذا الشيخ يوجه لي هذا السؤال :

ألم تقل لي أنك تعمل طبيباً ؟ ..

قلت : نعم ..

قال : بصفتك طبيباً بشرياً حاصل على أعلى الدرجات العلمية ، هل تستطيع أن تقول لي متى بالتحديد اكتشف الطب مراحل تكوين الجنين داخل رحم الأم ؟ .

قلت له : أن هذا الأمر لم يتوصل إليه الأطباء إلا خلال النصف الثانى من القرن العشرين مع تقدم التكنولوچيا والأجهزة الحديثة فى الطب .

قال : هذا الكلام حسن جداً ، إنكم تقولون أن محمد بن عبد الله صاحب هذا الدين الإسلامى ليس رسول الله وأنه قام بتأليف هذا القرآن وقال أنه من عند الله ليماثل به الكتب السماوية المقدسة ، أليس كذلك ؟..

قلت له : نعم .

قال : إذن فإن هذا الرجل كما قلنا من قبل لا يعلم الغيب لأنه لا يأتيه وحى من الله ، أليس كذلك ؟ ..

قلت : نعم ..

قال : وإذا قلت لك أن هذا الرجل قد وضح لنا منذ أكثر من ١٤٠٠عام فى هذا الكتاب المسمى بالقرآن مراحل تكوين الجنين فى رحم المرأة فى وقت لم يتعدى فيه الطب مرحلة الوصفات القائمة على الأعشاب والنباتات ...

قلت له : كيف ذلك ؟ ..

قال : إن فى كتابنا آيات توضح تلك العملية بالتفصيل وهى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

ثم قام بترجمة هذه الآيات لى مع شرح كل كلمة منها وتوضيح معانيها وقال لى هكذا تلاحظ أن تلك الآيات قد أوضحت بالتفصيل مراحل تكوين الجنين منذ تخصيب الحيوان المنوى للبويضة تتكون الزيجوت أو النطفة وبعد ذلك تعلق هذه النطفة فى جدار الرحم وتسمى علقة وهى مجموعة من الخلايا تستمر فى التكاثر شيئاً فشيئاً حتى تتحول إلى مضغة وهى قطعة من الخلايا قدر ما يمضغ الإنسان فى فمه ، وبعد ذلك وبقدرة الله الواحد وحدة تتحول تلك الخلايا أولاً إلى عظام وهى أول ما يخلق من الإنسان فى الرحم وأن تعلم ذلك ، ثم يكسوا الله هذه العظام لحماً بما فيها الأوعية والشرايين والأعصاب والأجهزة وغير ذلك ، وبعد هذا يُخلق هذا الجنين ليكون خلقاً جديداً من بنى آدم يدل على عظمة الله الواحد القهار . فهل تستطيع أن تقول لي من الذى أعلم هذا الإنسان العادى تلك الأشياء التى لم نعلمها نحن البشر العاديين إلا فى أواخر القرن العشرين ؟ .

لم أستطع أن أجيبه ، حاولت أن أجد أى كلمات أرد بها عليه ولكنى وجدت نفسى عاجزاً أمام تلك الآيات ، ولا أدرى ما الذى حدث لي ، أين ذهبت كل تلك العلوم التى درستها ؟ هل كانت كلها هباءً ؟! ، هل كانت كلها كذباً ؟ ، لا أدرى، ووجدت نفسى أقول لهذا الشيخ إنى أستميحك عذراً فأريد الانصراف ، وتركته وتوجهت إلى مكان إقامتى وكل تفكيرى يدور حول ذلك الكلام الذى سمعته من هذا الشيخ ، وظللت كذلك حتى غلبنى النعاس ورحت فى نوم عميق ، لم أستيقظ منه إلا فى صباح اليوم التالى ، لم أدرى ما الذى أصابنى فى هذا الصباح ، شعرت أن هناك شيئاً غريباً ينتابنى ، أحسست أن صدرى يتسع ليحوى كل العالم والكون الفسيح ، شعرت بدقات قلبى تدق بشدة وهى تقول : الله ، الله ، الله ، **God God God** لم أجد

أمامى إلا ذلك الشيخ ، توجهت إليه مسرعاً ، ياشيخ إنى أحس بأنى أحبك ، وأريد أن أسمع المزيد من كلماتك ، حدثنى أكثر وأكثر وأكثر ولا تتوقف عن الحديث ، أعطنى ذلك القرآن لكى أقرأ فيه .

فقال لي : لا تستطيع أن تلمسه حتى تتطهر .

قلت له : كيف أتطهر ؟ .

قال : بالوضوء ... فقام معى وعلمنى كيفية الوضوء ، ولن أكون كاذباً فى تلك الكلمات عندما أقول أنى أحسست أن كل قطرة ماء تنزل عن جسدى أثناء الوضوء تحمل معها ثقلاً كبير كان على كاهلى ، وشعرت براحة داخلية لا أستطيع وصفها ولم أشعر بها من قبل فى حياتى .

وقلت للشيخ : كيف لي أن أسلم أيها الشيخ ؟ .

قال لي : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقلـت وراءه : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قال لي : الأن أصبحت مسلماً ويغفر لك الله كل ما سبق من عملك أثناء الفترة الماضية .

قلت له : أريد أن أعرف المزيد عن الإسلام .

قال : عليك بالتوجه إلى الأزهر الشريف فى مصر فهو منبر الإسلام فى العالم ، ومصر هى المدافعة عن الإسلام منذ فتحها وحتى الآن ..

لم أنتظر وأسرعت بالتوجه إلى مصر ، وحضرت إليها ليلاً ، واستقليت تاكسياً من المطار فى الطريق إلى أحد الفنادق ، وقد أدهشتنى تلك المناظر التى رأيتها فى شوارع القاهرة من نساء عاريات الصدور والسيقان والأذرع والنوادى الليلية « الكبارية » ونوادى الديسكو التى تفوح منها رائحة الخمور المختلفة

وتخرج منها أصوات الموسيقى الغربية ، وأيضاً علمت بعد ذلك أن هناك شبكات دعارة كثيرة ونساء تبيع نفسها فى مقابل المال ، فقلت فى نفسى :

« الحمد لله الذى عرفنى الإسلام قبل أن أعرف أهله » .

وبعد بضعة أيام توجهت إلى الأزهر الشريف ، وتقابلت مع أحد الشيوخ هناك ورويت له قصتى وأشهرت إسلامى وأُعطيت شهادة موثقة من الأزهر الشريف تفيد بأننى أصبحت مسلماً واتخذت اسم « أحمد » وظللت هنا أقتبس من علوم الأزهر الشريف ، والحمد لله قمت بأداء رحلة الحج إلى بيت الله الحرام كما قمت بأداء العمرة منذ أشهر قليلة ، وقد نويت أن أتزوج من إحدى الفتيات المصريات ، وأتقدم بطلب لأعمل بأحد المستشفيات فى مصر .

هذه هى قصتى من البداية حتى قابلتنى فى هذا اليوم ... والحمد لله .

الفهرس

Bibliotheca Alexandrina
0299138